Sadaa Al-qalum Journal
مجلة صدى القلم
مجلة صدي القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية

توجيه الشيخ محمد بن محمد المحروق للقراءات المتواترة
نماذج مختارة من كتابه (الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل و انسجام في المعاني والأحكام)

فرج عمر الجرو
كلية الدراسات الاسلامية جامعة مصراتة
التخصص علوم قرآن - قراءات

استلام الورقة: 2026-05-18 **قبول الورقة: 2026-05-25** **نشر الورقة: 2026-06-02**

الملخص

يتناول هذا البحث منهج الشيخ محمد بن محمد المحروق في توجيه القراءات المتواترة من خلال كتابه *الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام*، ويهدف إلى الكشف عن الأسس العلمية والمنهجية التي اعتمدها في بيان اختلاف القراءات وإبراز تكاملها في المعاني والأحكام. وقد اعتمد الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي باستقراء نماذج مختارة من الكتاب وتحليلها للكشف عن خصائص منهجه. وتوصلت الدراسة إلى أن الشيخ جعل مبدأ التكامل والانسجام أساسًا في توجيه القراءات، وعدَّ اختلافها اختلاف تنوع يثري المعنى ولا يوقع التعارض. كما أبرز أثر اختلاف الألفاظ والتراكيب في توسيع الدلالة، وربط بين المعنى المعجمي والسياق القرآني لإظهار وجوه الإعجاز البياني. وأظهرت الدراسة عنايته بالتوجيه الدلالي والنحوي وربطهما بالمقاصد التشريعية، مع بيان أثر اختلاف الفاعلية والبناء للمعلوم والمجهول وصيغ الخبر والإنشاء في تنوع الدلالات. كما اعتمد على كتب التفسير والاحتجاج والقراءات، مع ميل واضح إلى الجمع بين دلالات القراءات والابتعاد عن الترجيح إلا عند الحاجة. وكشفت الدراسة أن النحو والبلاغة عنده وسيلتان لفهم الخطاب القرآني وإظهار أبعاده الدلالية، وأن كتابه يمثل إضافة علمية متميزة في مجال توجيه القراءات؛ إذ تجاوز الاقتصار على التعليل اللغوي إلى إبراز ما تضيفه كل قراءة من معانٍ وأحكام، مما يؤكد ثراء القراءات المتواترة، ويبرز قيمتها في توسيع دلالات النص القرآني وإظهار تكامله وانسجامه، كما يفتح المجال لمزيد من الدراسات المتخصصة في هذا الاتجاه.

Abstract

This study examines the methodology of Sheikh **Muhammad bin Muhammad Al-Mahrouq** in the interpretation and justification of the mutawātir (canonical) Qur'anic readings through his book Al-I'lām bimā bayna al-Qirā'āt al-Mutawātirah min Takāmul wa Insijām fī al-Ma'ānī wa al-Aḥkām (Informing about the Integration and Harmony among the Canonical Qur'anic Readings in Meanings and Rulings). It aims to identify the scholarly and methodological foundations upon which he based his explanation of the differences among the Qur'anic readings and to demonstrate their integration in meanings and legal rulings. The researcher adopted the inductive-analytical approach by examining selected examples from the book and analyzing them to reveal the characteristics of his methodology. The study concluded that Al-Mahrouq regarded the principle of integration and harmony as the foundation of his approach to the Qur'anic readings, considering their differences to be variations of diversity that enrich meaning without causing contradiction. It also highlighted the impact of lexical and syntactic variation in expanding semantic meaning and linked lexical meaning with the Qur'anic context to demonstrate aspects of the Qur'an's rhetorical inimitability. Furthermore, the study revealed his concern with semantic and grammatical interpretation and their connection to legislative objectives, explaining the effects of variations in subject and object functions, active and passive constructions, and declarative and imperative forms on the diversity of meanings. He also relied on the classical works of Qur'anic exegesis, justification of the

readings, and the science of Qur'anic recitations, while showing a clear preference for reconciling the meanings of the readings and avoiding preference between them except when necessary. The study further demonstrated that, in his methodology, grammar and rhetoric serve as tools for understanding the Qur'anic discourse and revealing its semantic dimensions. His book represents a distinguished scholarly contribution to the field of the justification of Qur'anic readings, as it goes beyond purely linguistic explanation to demonstrate the additional meanings and legal implications contributed by each reading. This confirms the richness of the canonical Qur'anic readings, highlights their value in expanding the meanings of the Qur'anic text and demonstrating its coherence and harmony, and opens the way for further specialized studies in this field.

Keywords: Al-I'glm, Justification of Qur'anic Readings, Qur'anic Readings, Al-Mahrouq, Semantics.

مقدمة

حظيت القراءات القرآنية بعناية علماء الأمة منذ صدر الإسلام، لما لها من أثر بالغ في حفظ النص القرآني، وبيان وجوه إعجازه، والكشف عن ثراء دلالاته واتساع معانيه، وقد أسهم اختلاف القراءات المتواترة في إثراء المعنى القرآني، إذ جاءت كل قراءة لتضيف بُعدًا دلاليًا أو حكمًا شرعيًا أو لطيفة بيانية، دون أن يفضي ذلك إلى التعارض أو التناقض، بل تتكامل القراءات فيما بينها لتشكل صورةً أوسع لمعاني القرآن الكريم ومقاصده، ومن هنا نشأ علم توجيه القراءات، الذي عُني ببيان وجوه القراءات وعللها، وتفسير اختلافها في ضوء اللغة والنحو والصرف والبلاغة والتفسير، فصنّف العلماء فيه مصنفات كثيرة، ككتاب الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي، والحجة للقراء السبعة لابن خالويه، وحجة القراءات لابن زنجلة، وغيرها من المؤلفات التي أرست قواعد هذا الفن، وأوضحت وجوه الاحتجاج للقراءات المتواترة.

ومع تطور الدراسات القرآنية اتسع النظر في القراءات، فلم يعد مقصورًا على توجيهها اللغوي أو النحوي، بل ظهرت دراسات اهتمت باستجلاء ما بين القراءات من تكامل دلالي وتشريعي، والكشف عن أثرها في توسيع المعنى وإثراء الأحكام، ويأتي في هذا السياق كتاب «الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام» للشيخ محمد بن محمد المحروق، الذي سعى إلى إبراز هذا الجانب، وجعل من بيان التكامل بين القراءات محورًا لكتابه، متجاوزًا الاقتصار على التخريج اللغوي إلى استنباط ما تضيفه كل قراءة من معانٍ وأحكام.

وقد صرّح المؤلف بمنهجه في مقدمة كتابه، مبينًا أن هدفه يتمثل في دراسة اختلاف القراءات، من خلال ما ينتج عنه من تعدد في وجوه المعاني وإضافات في الأحكام الشرعية، كما أشار إلى أن كثيرًا من كتب التوجيه اقتصرت

على الجوانب اللغوية والبلاغية، في حين سعى هو إلى إبراز ما تحمله القراءات من تكامل دلالي وتشريعي، وهو ما منح كتابه خصوصيةً منهجية تستحق الدراسة والتحليل.

اشكالية البحث

تتمثل مشكلة البحث في الكشف عن منهج الشيخ محمد المحروق في توجيه القراءات المتواترة، وبيان الأسس التي اعتمد عليها في تفسير اختلافها، ومدى نجاحه في إبراز التكامل بين القراءات في المعاني والأحكام، حيث سيتناول البحث الإشكالية العلمية في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما الأسس العلمية التي بنى عليها الشيخ محمد المحروق منهجه في توجيه القراءات المتواترة؟
- ما أبرز أوجه التوجيه التي اعتمدها في بيان التكامل بين القراءات؟
- كيف وظّف اختلاف القراءات في استنباط المعاني والدلالات والأحكام الشرعية؟
- ما السمات المنهجية التي تميز بها توجيه الشيخ محمد المحروق عن غيره من مؤلفات توجيه القراءات؟

أهداف البحث

- الكشف عن الأسس العلمية التي اعتمدها الشيخ محمد المحروق في توجيه القراءات المتواترة.
- بيان أبرز أوجه التوجيه التي وظفها في تفسير اختلاف القراءات.
- إبراز منهجه في بيان التكامل بين القراءات المتواترة في المعاني والأحكام.
- استنباط السمات المنهجية التي تميز بها توجيه الشيخ محمد المحروق.

منهج البحث:

اعتمدت المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال استقراء نماذج مختارة من كتاب الشيخ محمد المحروق، وتحليلها للكشف عن منهجه في توجيه القراءات المتواترة، واستنباط أبرز خصائصه وأوجه تميزه.

الدارسات السابقة:

لم أجد فيما أعلمه وبحثت عنه أي دراسة علمية مستقلة تناولت منهج الشيخ محمد المحروق في كتابه الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، سواء من حيث تحليل منهجه في توجيه القراءات المتواترة أو استقراء أسسه العلمية وسماته المنهجية؛ الأمر الذي يمنح هذا البحث قدرًا من الجدة، ويبرز أهميته في دراسة هذا الجانب.

خطة البحث: تتضمن خطة البحث على مبحثين وخاتمة وهي كالآتي:

أولا: التمهيد وفيه التعريف بالمؤلف الشيخ محمد بن محمد المحروق، وكتابه (الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام).

ثانيا: مدخل إلى علم توجيه القراءات.

المبحث الأول: التوجيه بالدلالة واختلاف معاني المفردات عند الشيخ محمد بن محمد المحروق.

المبحث الثاني: التوجيه النحوي وأثره في بناء الدلالة عند الشيخ محمد بن محمد المحروق.

الخاتمة.

التمهيد

أولًا: ترجمة الشيخ محمد بن محمد المحروق

اسمه ومولده:

هو الشيخ الفقيه الأديب المقرئ محمد بن محمد إبراهيم محمد، الملقب بالمحروق، عبد الواحد أحمد حسين بن جعفر الجهاني الليبي [1]، ولد الناظم بقرية الإمام زروق، بمدينة مصراتة، سنة 1950م، وقد بدأ الشيخ تحصيله العلمي في القرية التي يقطنها، فحفظ القرآن الكريم بزاوية الزروق مبكرًا، وأخذ مبادئ بعض العلوم بها، ثم التحق بمعهد القراءات بالبيضاء سنة 1967م؛ حيث أتقن القراءات العشر، وتخرج فيه بتفوق سنة 1972م، ثم عين مدرسًا بمعهد القراءات بمصراتة، ثم التحق بالدراسة الجامعية، فتحصل على درجة الليسانس في اللغة العربية من كلية التربية بطرابلس سنة 1990م، وفي سنة 1998/1997م تحصل على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في الأدب العربي، وهو من المشايخ المسندين، يروي موروثه العلمي بالسند[2].

شيوخه:

درس علمي الفقه والميراث على الشيخ عبد الله سويسي ودرس على الشيخ مفتاح الليبيدي الألفية في النحو وعلم البيان والميراث، وتلقى التفسير والفقه والبلاغة عن المفسر الشيخ أحمد أبو مزيريق، ودرس على

(1) ينظر: النبع النمير في أصول التفسير (رسالة ماجستير)، عبد السلام علي خليفة، 4.

(2) ينظر: فصل الخطاب للمحروق، تحقيق: عمر الباروني، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 15، 2020، 113.

الشيخ محمد بن مفتاح قريو جوهرة التوحيد. كما درس شرح منظومة الفطيسي في الفقه المالكي على الشيخ الطيب بن طاهر المصراتي، وغيرهم[3]، ومن شيوخه في القرآن: محمد منصور، وعبد السلام محمد العويب، كما تتلمذ خلال دراسته بمعهد القراءات على الشيخ محفوظ الطرابلسي، ومن شيوخه الأزاهرة الشيخ إسماعيل الداوودي والشيخ أبو الفتوح علي عيسوي، والشيخ محمد ربيع والشيخ محمد سويلم، والشيخ عبد الحميد شحاته شيخ معهد القراءات.[4]

تلاميذه:

أبرزهم وأقربهم وأخصهم الشيخ الدكتور: حافظ محمد القليب، ثم يأتي بعده عدد من المشايخ منهم: الشيخ الدكتور يوسف أحمد عبد الجليل والشيخ المقرئ محمد حسن بازينة والشيخ محمود بن غزي، والدكتور رافع عبد الهادي الترجمان، والدكتور الأزهري عبد الرحمن عزيز سمرة المصري وغيرهم[5].

كما شرفت بالتتلمذ على يديه خلال دراستي بكلية الدراسات الإسلامية جامعة مصراتة في قسم القراءات، حيث درسني بعض المقررات (كتوجيه القراءات وأصول الرواية وغيرها) وكان رحمه الله مشرفي على بحث التخرج في مرحلة الليسانس الموسوم ب (ترجمة الإمام الهبطي).

ومن مؤلفاته:

- النبع النمير في أصول التفسير منظومة من 170 بيتًا نظم فيها قواعد التفسير .
- منظومة الوقف على (كلا) و(بلى) و(نعم) في القرآن الكريم ، منظومة في 26 بيتًا ثم أتبعها بتعليق موجز.
- منظومة الغرة لتسهيل نظم الدرة، في القراءات الثلاثة المتممة للعشر، وهي منظومة جاءت في 705 بيتا.

(3) ينظر: فصل الخطاب للمحروق، تحقيق: عمر الباروني، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 15، 2020، 114.

(4) ينظر: النبع النمير في أصول التفسير (رسالة ماجستير) عبد السلام على خليفة، قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية بالأكاديمية الليبية مصراتة في الأول من ديسمبر 2024م. 4-5.

(5) ينظر: المصدر السابق، 7.

- الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، وهو موضوع البحث.
- نسيم السحر في نظم القطر جاء في 517 بيتًا نظم فيها قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، وغيرها من المؤلفات[6].

وقد توفي رحمه الله يوم الإثنين (7) محرم سنة 1440هـ، الموافق 2018/9/17م بمدينة مصراتة ودفن بها[7].

ثانيًا: كتاب الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام

يُعد كتاب «الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام» للشيخ محمد بن محمد المحروق من الدراسات التي اتجهت إلى معالجة اختلاف القراءات المتواترة من منظور دلالي ومقاصدي، فلم يقتصر مؤلفه على توجيه القراءات من الناحية اللغوية أو النحوية، بل جعل غايته الأساسية الكشف عن أثر اختلاف القراءات في تعدد المعاني واستنباط الأحكام الشرعية، وإبراز ما بينها من تكامل وانسجام، وقد صرّح بذلك في مقدمة كتابه بقوله: "هذا كتاب طرقت فيه موضوع اختلاف القراءات المتواترة وما يؤديه الاختلاف بينها من تعدد في وجوه المعاني وإضافات في الأحكام الشرعية"(8)، ثم يؤكد خصوصية منهجه بقوله: "وما رأيته من كتب التوجيه للقراءات يقتصر على توجيه القراءة لغة ونحوا وصرفًا وبلاغة... لكنها في مجملها لا تجعل من تعدد المعاني والأحكام غاية تسعى إليها وتؤكدها"(9).

ويكشف هذا التصريح عن وعي المؤلف بالفجوة التي رأى أنها قائمة في مؤلفات توجيه القراءات؛ إذ رأى أن معظمها ينصرف إلى بيان الأوجه اللغوية والبلاغية، في حين يغيب عنه إبراز التكامل الدلالي والتشريعي الذي يثمره اختلاف القراءات، ومن هنا جعل هذا الجانب محورًا لدراسته، معتمدًا على استقراء كتب التوجيه

(6) ينظر: النبع النمير في أصول التفسير (رسالة ماجستير) عبد السلام على خليفة 7-8.

(7) ينظر: المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية علوم الشريعة حول/ المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي ، ج5، 2019/6/4م، الشيخ محمد المحروق وجهوده في التفسير .

(8) الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، محمد بن محمد المحروق، ط1، 2002م. 1.

(9) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

والتفسير، ومصرحًا بإفادته من عدد من المصادر الأصيلة، وفي مقدمتها حجة القراءات لابن أبي زرعة، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

كما تكشف المقدمة عن تواضع المؤلف العلمي؛ إذ لم يدّع الإحاطة بالموضوع، بل عدَّ كتابه "خطوة نافعة في الدرب الصحيح"(10)، وأعرب عن أمله في أن يكون "فاتحة لدراسات أكثر عمقًا ونضجًا"(11)، وهو ما يدل على إدراكه لاتساع ميدان البحث في توجيه القراءات، وحاجته إلى مزيد من الدراسة والاستقراء.

مدخل

توجيه القراءات لغة واصطلاحًا:

التوجيه لغة: الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة الشيء، والوجهة: كل موضع استقبلته، قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[البقرة: 148] ووجهت الشيء: جعلته على جهة، وأصل جهته وجهته، والتوجيه: أن تحفر تحت القثاءة، أو البطيخة ثم تضجعها [12]، وجهة الأمر وجهته ووجهته: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده [13].

معنى توجيه القراءات اصطلاحًا: هو بيان وجه القراءة من حيث اللغة والمعنى، وهو أيضا علم يبحث عن القراءات من جوانبها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية، والدلالية [14]، وعرفه البعض على أنه: علم يبحث فيه عن ماهية القراءات ببيان عللها وتوجيهها من حيث اللغة والإعراب [15]، وله مسميات أخرى منها: «علم علل القراءات»: وهو علم يتعلق بدراية القراءات؛ ويعني ذلك: أنه لماذا اختار القارئ قراءة معينة من بين

(10) الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، 1.

(11) المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

(12) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1979م)، 6/88-89.

(13) لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، (1414هـ) مادة (وجه)، 13/ 556.

(14) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر (2002م) ، 336.

(15) صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور، الطبعة الأولى، (1415هـ) ، 286.

القراءات الكثيرة التي صحت لديه وكان يتقنها؟ فقد يكون هذا الوجه تعليلًا نحويًّا أو لغوياً، وقد يكون معنوياً أو نقلياً، يراعي القارئ فيه أخباراً وأحاديث استأنس بها في اختياره. فـ «الاحتجاج» معناه: تعليل الاختيار وبيان وجهه من حيث اللغة والإعراب [16].

وعلى هذا فإن توجيه القراءات هو علم يكشف عن وجه الاحتجاج للقراءة من خلال التماس الدليل والحجة للانتصار للقراءة سواء كان من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف أو كان من اللغة التي تشمل الشعر والنحو والصرف والبلاغة.

(16) صفحات في علوم القراءات، السندي، 286.

المبحث الأول: التوجيه بالدلالة واختلاف معاني المفردات عند الشيخ محمد بن محمد المحروق

يُعدُّ التوجيه الدلالي من أبرز الأسس التي اعتمد عليها الشيخ محمد بن محمد المحروق في كتابه الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام؛ إذ لم يقف عند حدود بيان الاختلاف اللغوي بين القراءات، وإنما تجاوز ذلك إلى استجلاء ما يترتب على هذا الاختلاف من اتساع في الدلالة، وإثراء في المعنى، وإبراز لوجوه الإعجاز في النص القرآني، ويظهر من خلال استقراء الكتاب أن الشيخ ينطلق من مبدأ أصيل، وهو أن اختلاف القراءات اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وأن كل قراءة تضيف إلى الأخرى معنىً جديدًا أو جانبًا من جوانب المعنى الكلي، حتى تكتمل الصورة الدلالية للنص.

ولا يقتصر في توجيهه على بيان الأصل الإشتقاقي للألفاظ، بل يربط بين الدلالة المعجمية والسياق القرآني، ثم يستنبط العلاقة التي تجمع القراءات المختلفة، سواء أكانت علاقة سببية، أم زمنية، أم تصويرية، ليؤكد أن تعدد القراءات إنما جاء لتوسيع دائرة المعنى، لا لتعارضه.

أولًا: قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: 36]

تناول الشيخ هذه الآية من خلال القراءتين المتواترتين: ﴿فأزلهما﴾ وقراءة حمزة ﴿فأزالهما﴾(17) "لما كان معنى اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ: اثبتا فيها، فثبتا فأزالهما، وقابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: فَأَخْرَجَهُما. والشيطان: إبليس، وأضيف الفعل إليه؛ لأنه السبب"(18)، فبيّن الشيخ أن القراءة الأولى مشتقة من الزلل، وهو الوقوع في الخطأ والمعصية، بينما ترجع الثانية إلى مادة الإزالة، أي التنحية والإخراج من المكان(19).

(17) ينظر: النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد لبن الجزري (ت 833هـ). المحقق علي محمد الضباع 211/2.

(18) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ، 6/1.

(19) ينظر: الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، 2.

فهكذا يقرر الشيخ أن الإزالة كانت نتيجة مترتبة على الزلل؛ فالشيطان أوقع آدم وحواء في المعصية أولًا، ثم ترتب على ذلك خروجهما من الجنة. وبهذا تصبح كل قراءة مفسرة للأخرى؛ إذ تكشف الأولى عن سبب الحدث، بينما تبين الثانية أثره ونتيجته.

ويكشف هذا التوجيه عن منهج الشيخ في التعامل مع اختلاف المواد الإشتقاقية، فهو لا يعد اختلاف المادة سببًا لتباين المعاني، وإنما وسيلة لإظهار تتابع الأحداث وتسلسلها، وهو ما يثري السياق القرآني ويجعله أكثر إحكامًا، ومن ثم فإن القارئ إذا اقتصر على إحدى القراءتين أدرك جانبًا من المعنى، أما إذا جمع بينهما اتضحت أمامه الصورة كاملة، فظهر السبب والنتيجة في نسق واحد متكامل.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ [البقرة: 259]

يعرض الشيخ اختلاف القراءتين في قوله تعالى ﴿ننشزها﴾ و﴿ننشرها﴾، "فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ننشرها بضم النون الأولى وبالراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: نُنْشِزُها بالزاي"(20)؛ ثم بين الشيخ أن قراءة الزاي تدل على رفع العظام وتركيب بعضها على بعض، في حين تدل قراءة الراء على بعثها وإحيائها بعد اكتمال خلقها.

ويلاحظ أن الشيخ لم يجعل القراءتين دالتين على معنى واحد، وإنما جعل لكل واحدة وظيفة خاصة في تصوير المشهد، فقراءة «ننشزها» تمثل مرحلة إعادة بناء الهيكل العظمي، بينما تصور قراءة «ننشرها» مرحلة إحياء الجسد بعد اكتمال صورته(21).

ومن خلال هذا التوجيه يتبين أن الشيخ يعتمد على ترتيب الدلالات وفق تسلسلها الزمني، فيجعل إحدى القراءتين متقدمة في الوقوع على الأخرى، وبذلك يتحول اختلاف القراءة إلى وسيلة لرسم مشهد حي متدرج، تبدأ فيه العظام متفرقة، ثم ترتفع وتتجمع، ثم تكسى لحمًا، ثم تدب فيها الحياة من جديد، ويكشف هذا المثال عن نزعة الشيخ إلى الجمع بين الدلالة اللغوية والتصوير البياني؛ إذ لا يكتفي بشرح معنى الفعل، بل يربطه بالحركة التي يصورها النص، مما يجعل اختلاف القراءات عنصرًا من عناصر الإعجاز التصويري في القرآن الكريم.

(20) الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت 377هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ – 1993م، 379/2.

(21) ينظر: الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام ، 4.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ [الحجر: 15]

وقف الشيخ عند اختلاف القراءتين في لفظ «سُكِّرت» بالتشديد، و«سُكِرت» بالتخفيف، "فقرأ ابن كثير: (سكرت) خفيفة، وقرأ الباقون: سكرت مشدّدة"(22) فبيّن أن التخفيف يدل على الحبس والسكون والانغلاق، بينما يفيد التشديد معنى التغطية والتغشية.

ولا يقتصر توجيهه على بيان الفرق اللغوي بين الفعلين، بل يرى أن اجتماع القراءتين يؤدي إلى تصوير حالة من الانعدام الكامل للإبصار؛ إذ دلت إحداهما على حبس الأبصار وتعطيلها، بينما دلت الأخرى على تغطيتها وحجبها، فاجتمع المعنيان لإفادة تمام العجز عن الرؤية (23)، ويظهر في هذا الموضع أن الشيخ يستثمر الفروق الدقيقة بين الصيغ الصرفية لإبراز تعدد مستويات المعنى، فلا يجعل التشديد والتخفيف مجرد اختلاف في الأداء، وإنما يعدهما مصدرًا لتوسيع الدلالة وإغنائها.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: 22]

تناول الشيخ اختلاف القراءة بين الإفراد والجمع في لفظ «الريح» و«الرياح»، فقد " قَرَأَ حَمْزَة: وَأَرْسَلْنَا الرّيح لَوَاقِح ، بِغَيْر ألف وحجته أَن الرّيح فِي معنى جمع، أَلا ترى أَنَّك تَقول قد جَاءَت الرّيح من كل مَكَان تُرِيدُ الرِّيَاح ، ... وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {الرِّيَاح} على الْجمع وحجتهم قَوْله {لَوَاقِح} وَلم يقل لاقحًا" (24) فوجه قراءة الإفراد إلى إرادة الجنس أو الوظيفة العامة للريح بوصفها سببًا في التلقيح، بينما رأى أن الجمع يدل على تعدد أنواع الرياح وتنوع وظائفها في تلقيح الأشجار والسحب.

ويتميز توجيه الشيخ في هذا الموضع بعدم الاكتفاء بما ذكره المفسرون من حمل المفرد على الجنس، بل يحاول استنباط دلالة جديدة تجعل لكل قراءة خصوصيتها، فيقرر أن الإفراد يلحظ وحدة الوظيفة، بينما يلحظ الجمع تعدد الوسائل والأنواع، ويؤكد هذا التوجيه أن الشيخ يسعى إلى المحافظة على استقلال كل قراءة بدلالتها الخاصة، ثم يربطها بالأخرى في إطار المعنى العام، وهو منهج يتكرر في معظم أمثلة الكتاب.

(22) الحجة للقراء السبعة 43/5.

(23) ينظر: الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام ، 44.

(24) حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني [ت 1417 هـ]، دار الرسالة، د.ت، 382.

ويتبين من خلال هذه النماذج أن الشيخ محمد المحروق اعتمد في توجيهه على الدلالة المعجمية اعتمادًا واضحًا، إلا أنه لم يجعلها غاية في ذاتها، وإنما اتخذها مدخلًا لإثبات تكامل القراءات، كما يظهر أنه يربط بين المعنى اللغوي والسياق القرآني، ويقيم بين القراءات علاقات دلالية متنوعة، كالعلاقة بين السبب والنتيجة، أو بين المراحل الزمنية، أو بين العام والخاص، بما يؤدي إلى توسيع دائرة المعنى وإظهار ثراء النص القرآني.

المبحث الثاني: التوجيه النحوي و أثره في بناء الدلالة عند الشيخ محمد بن محمد المحروق

التوجيه النحوي أحد المرتكزات التي اعتمد عليها الشيخ محمد المحروق في بيان التكامل بين القراءات المتواترة، إلا أن عنايته بالنحو لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما جاءت بوصفها وسيلة للكشف عن الأبعاد الدلالية التي تنشأ عن اختلاف التراكيب والأساليب، فمن المعروف لدى طلبة العلم أن توجيه القراءات هو بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه [25]، فالشيخ لا يقف عند حدود بيان وظيفة الفاعل أو المفعول، أو اختلاف البناء للمعلوم والمجهول، بل يتجاوز ذلك إلى بيان ما يضيفه كل تركيب من معنى، وكيف تتكامل القراءات في رسم الدلالة القرآنية.

ومن خلال استقراء النماذج الواردة في كتابه يتضح أنه ينظر إلى الإعراب بوصفه عنصرًا مؤثرًا في المعنى، وأن اختلاف الوظائف النحوية يؤدي إلى توسيع الدلالة وإثرائها، وهو ما ينسجم مع منهجه العام القائم على إثبات الانسجام بين القراءات.

أولًا: قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 37]

يعرض الشيخ اختلاف القراءتين في هذه الآية؛ فقد " قَرَأَ ابْن كثير فَتلقى آدم نصب كَلِمَات رفع جعل الْفِعْل للكلمات لِأَنَّهَا تلقت آدم عَلَيْهِ السَّلَام، وحجته أَن الْعَرَب تَقول تلقيت زيدا وتلقاني زيد وَالْمعْنَى وَاحِد لِأَن من لَقيته فقد لقيك وَمَا نالك فقد نلته، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِرَفْعِ آدَمَ، وَنَصْبِ كَلِمَاتٍ بِكَسْرِ التَّاءِ[26] {فَتلقى آدمُ من ربه كَلِمَات}

(25) ينظر: مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور ، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى 2001م ، 201.

(26) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 211/2.

آدم رفع بِفِعْلِهِ لِأَنَّهُ تلقى من ربه الْكَلِمَات أَي أَخذهَا مِنْهُ وحفظها وفهمها"(27) وقال الشيخ بأن إحداهما برفع آدم ونصب كلمات، فيكون آدم هو المتلقي، والكلمات هي المتلقاة، بينما جاءت القراءة الأخرى بعكس ذلك، فارتفع لفظ كلمات ونصب آدم، فأصبحت الكلمات هي الفاعل، وآدم هو المفعول.

ويرى الشيخ أن كل قراءة بتوجيه نحوي تؤدي وظيفة دلالية مستقلة، فالقراءة الأولى تُبرز مبادرة آدم عليه السلام إلى تلقي كلمات التوبة من ربه، وهو ما يعكس حال العبد المقبل على ربه بالإنابة والرجوع، أما القراءة الثانية فتصور كلمات التوبة وكأنها استقبلت آدم واحتضنته بعد صدق توبته، فيتحول التركيب من تصوير فعل الإنسان إلى تصوير أثر رحمة الله وقبول التوبة(28).

ومن خلال هذا التوجيه يظهر أن الشيخ يجعل اختلاف الفاعلية والمفعولية وسيلة لإظهار العلاقة المتبادلة بين العبد وربه؛ إذ لم تقتصر التوبة على تلقي آدم للكلمات، بل تجاوزه إلى قبول تلك الكلمات له ورفع أثر الذنب عنه، ومن ثم فإن كل قراءة تكمل الأخرى، وتكشف جانبًا من حقيقة التوبة لا يظهر منفردًا في القراءة الثانية، ويبرز في هذا المثال أيضًا اهتمام الشيخ بالجانب البلاغي للنحو، إذ لم يقف عند حدود الصناعة الإعرابية، وإنما استثمرها في استنباط معنى دقيق يتصل بالمقصد القرآني.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]

قوله تعالى: "﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ﴾ قرأه نافع وابن عامر بفتح الخاء، على الخبر، عمّن كان قبلنا من المؤمنين، أنهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، فهو مردود على ما قبله من الخبر وما بعده،...

فكله خبر... وقرأ باقي القراء بكسر الخاء، على الأمر، بأن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى"(29).

ويُظهر الشيخ في هذا الموضع أثر اختلاف الأسلوب بين قراءة الماضي (واتخذوا) وقراءة الأمر (واتخذوا)، ويرى أن اختلاف الصيغة أدى إلى اختلاف زاوية النظر إلى الحدث، مع بقاء المقصد واحدًا(30)، فالقراءة الواردة بصيغة

(27) حجة القراءات ، 94-95.

(28) ينظر: الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام ، 2.

(29) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي 355 – 437 هـ)، المحقق: د محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1401 هـ - 1981 م، 263/1.

الماضي تحكي ما وقع من إبراهيم وإسماعيل ومن تبعهما من المؤمنين، فتقرر أن اتخاذ مقام إبراهيم مصلى كان عملًا واقعًا في تاريخ الرسالة الإبراهيمية، وبذلك تؤسس للحكم من خلال الإخبار عن وقوعه، أما القراءة الواردة بصيغة الأمر فتتجاوز الحكاية إلى إنشاء الحكم، فتخاطب الأمة بضرورة اتخاذ المقام مصلى، فتتحول الدلالة من مجرد الإخبار إلى التشريع والتكليف.

ويكشف هذا التوجيه عن منهج الشيخ في الجمع بين الدلالتين؛ إذ يرى أن القراءة الأولى تثبت الأصل التاريخي للحكم، بينما تؤكد الثانية استمراره ودوامه في شريعة الإسلام، فلا يكون بينهما تعارض، بل تتكاملان في تقرير الحكم الشرعي، ومن اللافت أن الشيخ لم يكتفِ ببيان الفرق النحوي بين الخبر والإنشاء، بل ربطه بالمقصد التشريعي، فدل ذلك على أن التوجيه النحوي عنده لا ينفصل عن توجيه الأحكام.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: 37]

"قراءة أُبَيّ " فإن الله لا هادي لمن أضل " وقرأ ابن مسعود: " فإن الله لا يهدي من يُضل " بضم الياء من (يضل) فكسر الدال والضاد، وقرأ الكوفيون: " لا يهد [ي] " بفتح الياء، وقرأ الحرميان والشامي والبصري " لا يُهْدَى " بضم الياء وفتح الدال"(31)، وقد وقف الشيخ عند اختلاف القراءة في الفعل (لا يُهدَى) بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول، ورأى أن هذا الاختلاف أحدث تنوعًا في الدلالة دون أن يوقع تعارضًا بينها(32).

فالقراءة المبنية للمفعول تدل على أن من كتب الله عليه الضلال لا يجد من يهديه، أو أن من استمر في طريق الضلال لا تناله الهداية، فيكون التركيز فيها على حال الضال نفسه، أما القراءة المبنية للفاعل فتتجه إلى فعل الله تعالى في الهداية، وأنه لا يوفق للهداية من أصر على الضلال واختاره لنفسه، فيكون التركيز فيها على سنن الله في معاملة عباده.

(30) ينظر: الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام ، 2.

(31) الهداية الى بلوغ النهاية ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، 3990/6.

(32) ينظر: الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام ، 45.

ومن خلال الجمع بين القراءتين يرى الشيخ أن الهداية والضلال مرتبطان باختيار الإنسان وعدل الله تعالى، فلا تنفي إحدى القراءتين الأخرى، بل تتكاملان في بيان العلاقة بين فعل العبد ومشيئة الله، وهو ما يعكس منهج الشيخ في رد ما قد يتوهم من التعارض إلى معنى جامع.

ويتبين من خلال هذه النماذج أن الشيخ محمد المحروق اتخذ من اختلاف التراكيب وسيلة للكشف عن تنوع الدلالة واتساعها، فقد أظهر أثر اختلاف الفاعلية والمفعولية في تصوير المعنى، وربط بين اختلاف الخبر والإنشاء والمقاصد التشريعية، كما بيّن أثر البناء للمعلوم والمجهول في توسيع الدلالة العقدية، ومن ثم فإن النحو عنده ليس غاية مستقلة، وإنما هو أداة لفهم الخطاب القرآني وإظهار وجوه التكامل بين القراءات، وهو ما ينسجم مع المنهج العام للكتاب القائم على استكشاف العلاقات الدلالية بين القراءات المتواترة.

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة منهج الشيخ محمد بن محمد المحروق في توجيه القراءات المتواترة من خلال نماذج مختارة من كتابه الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، وقد سعت الدراسة إلى الكشف عن الأسس التي بنى عليها توجيهاته، وبيان أهم المسالك التي اعتمدها في تفسير اختلاف القراءات، مع إبراز ما بينها من تكامل في المعاني والأحكام.

وقد توصلت من خلال الدراسة إلى جملة من النتائج، من أهمها:

- اعتمد الشيخ مبدأ التكامل والانسجام أساسًا في توجيه القراءات المتواترة، ولم يقتصر منهجه على التوجيه اللغوي، بل جمع بين التوجيه الدلالي، والتركيبي، وربطها بالسياق القرآني.
- أظهر الشيخ أثر اختلاف القراءات في تنوع المعاني والأحكام الشرعية، مع بيان أن كل قراءة تضيف معنى يكمل غيره.
- اتسم منهجه بالنزعة الاستقرائية؛ إذ اعتمد على استقراء القراءات وتحليلها في ضوء كتب التفسير والتوجيه، مع الإفادة من أقوال العلماء.
- ظهر في توجيهاته الميل إلى الجمع بين دلالات القراءات ما أمكن، والابتعاد عن الترجيح إلا عند الحاجة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه الكريم وأن يمن على الباحث بالعمل بكتابه، وأن ينفعه بما تعلم ، وأن يجزي الشيخ محمد المحروق جزيل الأجر والثواب ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

- الإعلام بما بين القراءات المتواترة من تكامل وانسجام في المعاني والأحكام، محمد بن محمد المحروق، ط1، 2002م.
- حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي 403 هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني [ت 1417 هـ]، دار الرسالة، د.ت.
- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت 377هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993م.
- النشر في القراءات العشر محمد بن محمد بت الجزري (ت833هـ) تحقيق محمد علي الضباع.
- زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور، الطبعة الأولى، (1415هـ).
- فصل الخطاب للمحروق، تحقيق: عمر الباروني، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 15، 2020م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (355 - 437 هـ)، المحقق: د محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1401 هـ - 1981 م.
- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، (1414هـ) .
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر 1979م.

- مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور ، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى 2001م.
- المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية علوم الشريعة حول/ المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي ، ج5، 2019/6/4م، الشيخ محمد المحروق وجهوده في التفسير .
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر (2002م).
- النبع النمير في أصول التفسير (رسالة ماجستير) عبد السلام على خليفة، قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية بالأكاديمية الليبية مصراتة في الأول من ديسمبر 2024م.
- الهداية الى بلوغ النهاية ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.د.ت.